



❁ وصفية محبك

تطل من الشباك وهي تنادي، كأنها تغني:
- بيراموس وثيسبي، تعالا أين أنتما؟ لدي مفاجأة، لدينا زائرة حلوة،
سمراء، قادمة من الشرق القريب، ليست مثلي أنا الشقراء، التي جئت من
الشرق البعيد.

من هما بيراموس وثيسبي؟ هل هما من الخدم؟ هل هما ولداهما؟ أو اثنان
من النزلاء؟ يا إلهي، كم تحب الثثرة، لا بأس، سوف تسليني من غير شك.



❁ قصة سورية مقيمة في انكلترا.

❁ العمل الفني: الفنان شادي العيسى.

تفتح لي الباب سيدة في الخمسين من عمرها، توقعت من صوتها الحميم أن تكون لطيفة وأنيقة، فوجدتها أجمل من الصورة التي رسمتها لها في خيالي، حيثي بحرارة وعفوية، كما اعتادت أن تحييني على الهاتف حتى قبل أن ألتقي بها، عرفتي على أرجاء المنزل، ثم سارت بي إلى الغرفة التي سأمضي الليلة فيها، كل شيء مرتب، كل شيء له موضعه الخاص في البيت، منزل هادئ، جامد، بل ميت، لا صوت ولا حركة، سألتها إن كانت أي من الغرف الأخرى محجوزة، فأجابت إنها جميعاً فارغة، فموسم السياحة لم يقبل بعد، وكانت تتوقع مع انعقاد مؤتمر عن شكسبير في بلدة ستراتفورد أن تمتلئ الغرف كلها بالنزلاء، ولكنها أصيبت بخيبة أمل، فأنا النزيلة الوحيدة، وكأنها تريد منحني غرف المنزل كلها، أصرت أن أشرب القهوة معها قبل أن أنطلق في رحلتي السياحية في البلدة، شعرت أنها في شوق لتتحدث، لتكلم أحداً ما، تريد من يسمعها، جلست معها قرابة الساعة، ثم انطلقت وأنا أعدها بحديث ثان مطول في نهاية يومي.

ستراتفورد بلدة سياحية بامتياز، تعيش



بيراموس وثيسي

قدمت من طهران في إيران، حيث ولدت، إلى هذه البلدة الباردة في أقصى الغرب وأنا في العشرين من عمري، جئت مع والدي الضابط المتقاعد، أذكر أول أيامي هنا، كانت أياماً صعبة، مع أنني إنكليزية الأصل، ووالدي من أسرة أرسقراطية عريقة من ويلز، ووالدي من إنديرة في اسكوتلاندة، توفيت بعد عودتنا إلى انكلترا بعامين، عاش أبي بعدها عشرة أعوام، في نهاية أيامه أصيب بالرعاش، حقيقة كانت الأيام الأولى صعبة، لكن كل شيء تبدل بعد ذلك وتغير. هكذا بدأ حديثها ونحن نتناول العشاء معاً.

تلتفت نحو الباب، وتنادي:

- بيراموس وثيسي، تعالاً أين أنتما؟

وتصمت هنيهة، وهي تترقب، ثم تتابع حديثها:

- عملت بجد، بل دفنت نفسي في العمل، حتى تمكنت من شراء أول منزل، حولته إلى فندق صغير، ثم تمكنت من توفير بعض النقود، وحصلت على قرض من البنك، لأشترى بعدها منزلاً آخر، وهكذا توالت السنوات، ومر العمر، شراء وبيع، تأجير بيوت ومساكن للطلاب وغرف، ربح وخسارة.

على اسم شكسبير، لا يمكن أن تتنفس إلا شكسبير هناك، فالقرية تعيش على اسمه، أينما التفت ترى أثراً منه، تحمل الفنادق عناوين مسرحياته، والمطاعم أسماء شخصياته، واحد اسمه كورديليا، وثمان ماكبث، وثالث أوفيليا، تردد الساحات اسمه وأسماء أقاربه، تنتشر التماثيل في الحدائق، وتزين الرسومات جدران المدينة وأبوابها، وتستمر العروض المسرحية على خشبات المسارح المغلقة والمفتوحة، أما نهر آفون فيسير في المدينة وينظر بعين ساهرة على مئات السياح كل يوم، يتوافدون من أنحاء العالم في شهر الصيف، واليوم منتصف شهر حزيران، البلدة هادئة، موسم الاصطياف لم يحن بعد، الجو دافئ يساعد على التنقل والحركة، مع ذلك لا يمكنني أن أثق بطقس انكلترا أبداً، ولا أنسى أن أحمل مظلة أو معطف المطر.

- أجد الإنكليزية والفرنسية، وتعلمت منذ طفولتي الفارسية، وأحب حروفها العربية، أنت عربية أليس كذلك؟، وأعرف القليل من الإسبانية والإيطالية، عشت بضع سنوات في إسبانيا وإيطاليا وفرنسا، كانت أياماً جميلة، كنت صبية صغيرة، تخيلي..



أذهلتني الغرفة، شرقية، دافئة، جميلة،
 ما إن فتحت الباب حتى ولجت داخل
 عالم ثان، السجاد الفارسي القديم يفترش
 الأرضية، ولوحات من سحر إيران تزين
 الجدران، صورة لفتاة إيرانية جميلة ذات
 عينين سوداوين مكحولتين، ضابط بزيه
 العسكري يقف بقامته الطويلة، وشاربيه
 الكثيفين، والأوسمة تزين صدره، هو والدها
 من غير شك، على أحد الرفوف اصطفت
 كؤوس شاي وأطباق وصحون مزينة بنقوش
 ناعمة.
 شعرت أني في منزلي، مع أُمي، تدلني

ويستمر نداؤها، بل غناؤها الجميل:
 - حان وقت العشاء، تعالا أين أنتما؟
 تتوقف عن الحديث بين الفينة والأخرى،
 وتلتفت إليّ وأنا أتناول طعام العشاء، لتقول
 لي:

- تناولني من هذا المربي، أنا صنعته
 بنفسي، أخبريني ما رأيك، اشربي من هذا
 الشاي، وإن لم تحببه فلدي نوع آخر، هل
 تريدان أن تسمعي بعض الموسيقى الهادئة
 في غرفتك قبل النوم، وضعت لك في المسجل
 شريطاً جميلاً يساعدك على الراحة بعد
 نهارك المتعب هذا.

وتصمت هنيهة، ثم تنادي:
 - الحليب اللذيذ بانتظاركما، هيا تعالا،
 بيراموس وثيرسي.
 أثار نداؤها المتكرر فضولي، فسألتها:
 - من بيراموس وثيرسي؟
 - بيراموس ابني وثيرسي زوجته.
 اعتقدت من صمت منزلها أنها تعيش
 بمفردها، لا يمكن أن تكون بمفردها وهي
 في الخمسين من عمرها، لا بد أنها تمضي
 وقتاً ممتعاً معهما، لكن أين هما؟ نادتهما
 كثيراً، ولم يأتيا بعد، تناولنا طعام العشاء،
 وشربنا الشاي، ولم ننس قطع الشوكولا،
 وهما لم يصلا بعد.
 - يملآن حياتي بالحب والأمل، كنت
 وحيدة، ثم أصبحت أعيش لأجلهما،
 أستيقظ على صراخهما، اعتدت أن أسمع
 صوتهما في الصباح الباكر، نذهب للتسوق
 معاً، ننتزه في الحدائق، هما عائلتي، سترين
 الآن ثيسبي، هي تمشي هكذا، مثل سيدة
 أرستقراطية، وبيراموس يمشي مثل سيد
 محترم، يتلفت يميناً وشمالاً، يراقب المنزل
 ويراقب ثيسبي.
 في كل مرة تناديهما تلتفت نحو الباب،
 كأنها تتوقع دخولهما، وأنا أظنها تتخيل،

وتعاملني كطفل صغير، أرادت أن أتصرف
 كأني في بيتي، اغتسلت، وتناولت الطعام
 معها، وشربنا الشاي في الحديقة الصغيرة،
 شاهدنا التلفاز، ثم اعتذرت منها لبضع
 دقائق، تحدثت مع أمي، بعد أن شعرت
 أنني في شوق لصورة أمي وصوتها، تمنيت
 أن أسافر للحظة إلى حلب كي أعانق أمي
 ثم أعود، ليت المسافة قريبة، ليت الأرض
 تطوى.
 - ما بك؟ يا ابنتي، لم تتصلين ثانية،
 اتصلت بأمك في الصباح، واطمأنت عليك،
 هل هناك أمر ما؟
 أردت سماع صوت أمي وحسب، استمرت
 تلقي بأسئلتها القلقة، وأنا صامتة سعيدة
 بسماع صوتها:
 - سافرت إلى باريس، عشت سنة هناك،
 عملت في شركة طيران، وزرت عدة بلدان،
 وهكذا أتقنت عدة لغات، ثم استقررت هنا
 في ستراتفورد، بعث معظم المنازل التي
 اشتريتها، ولم أبق على غير هذا المنزل، هو
 منزل وفندق في آن، شارع (فورتبراس)
 هادئ الآن جداً، ولكن مع بدء الموسم، يعج
 بالسياح، موسم واحد يكفيني لأعيش على
 دخله العام كله.

بيراموس وثيسبي

معطفا فرو صغيران، يتحركان ببطء وهدوء،
يتجهان نحوي.



ودعتها في صباح اليوم التالي، وعدتها
بزيارة ثانية، أهديتها جملاً صغيراً مصنوعاً
بعناية من خشب الجوز، كنت قد حملته معي
من حلب، فرحت به جداً، لم أنس بالطبع
أن أقي التحية على بيراموس وثيسبي، وأن
أدعو لهما أن يبقيا معاً طول الحياة.^(١)

كأنه لا وجود لبيراموس وثيسبي، هل هما
شبحان، هل هما روحان لولدين فقدتهما،
الناس هنا في انكلترا يؤمنون بالأرواح
والأشباح، بل كثيراً ما يعتقدون بوجود
الأشباح في المنازل.
تلفتت نحو الباب، وتنادي ثانية، ألفتت
أيضاً، يدخل قمل وقطة، شعرهما الأبيض
كثيف جداً، ناعم، كأنهما وسادتان، أو

الهوامش:

١- ثيسبي فتاة من بابل أحببت ابن الجيران «بيراموس»، اتفقا على اللقاء في مكان ما، وصلت ثيسبي أولاً، ففوجئت
برؤية أسد تلتحج وجهه بالدم من بقايا فريسة كان قد التهمها، فهربت مسرعة، وأسقطت عنها من الفرع بعض ثيابها،
فالتقطها الأسد ولطخها بالدم، ووصل بيراموس متأخراً قليلاً، فرأى الثياب الملتصقة بالدماء، فاعتقد أن الأسد التهم
ثيسبي، فقتل نفسه، وتعود ثيسبي إلى المكان، فترى حبيبها مقتولاً، فتقتل نفسها.

